الحرب حسمت لصالحهم بسهولة وسرعة ، كما سنرى بعد قليل · لماذا لم يلعب **قانون العدد** لعبته لصالح عرب فلسطين ؟ لماذا لم يكن ميزان القوى لصالحهم ؟ ولكن ، اذا تأملنا الواقع بمزيد من التدقيق ، سنتساءل : حتى العدد الفعلي ، هل كان لصالحهم ؟ ان العدد ، عندما تكون ازاء حرب ، هو العدد المعبأ في المجهود الحربي ومقتضياته فقط · فلنقم ببعض حسابات تعطينا فكرة عامة وتقريبية فقط عن هذه المسألة ، مسألة العدد ، ولصالح من لعب قانون العدد بالنتيجة ·

من المعروف ، لاسباب تاريخية عديدة ، منها اقتصار الثقافة والحضارة على المدينة الاسلامية ، ومنها ايضا العلاقة الطفيلية بين المدينة والريف الاسلاميين، ان الريف الفلسطيني ، بما هو ريف عربي ـ اسلامي ، لا شيء سياسيا · وهذا يعني اننا يجب ان نستبعد حوالي ٧٠٪ من العدد الفلسطيني ، واذا افترضنا (والامر ليس كذلك ، بالطبع) ان جميع سكان المدن الفلسطينية ، التي يزيد سكانها عن ١٥٠٠٠ نسمة ، احرزوا قدرا مناسبا من الوعي السياسي فجرت تعبئتهم عسكريا ، واذا استبقينا رقميا لدى كل من الطرفين الاطفال والشيوخ، وبالمقابل اذا عرفنا ان الريف اليهودي (ونسبته ٦ر٢٠٪ من عدد اليهود ، في العام ١٩٤١ ـ مسيس ومنظم عسكريا في الكيبوتزات بخاصة ، وان المرأة اليهودية هي ايضا معبأة في المجهود الحربي والاعمال المرتبطة به ـ اذا اخذنا هذا كله بعين الاعتبار نتبين **ان اليشوف كانوا قادرين على تعبئة وحشد ما يتعدى ثلاثة اضعاف ما يمكن ، نظريا ، لعرب فلسطين حشده وتعبئته في الحرب والمجهود الحربي وما يرتبط بهما** ·

اذا ، فقانون العدد لم يكف عن لعب لعبته · ولكن ، بالنسبة لمجتمع شرقي ـ اسلامي ، ينبغي ان تؤخذ العطالة بالاعتبار ، وبالتالي استخراج العدد المؤهل لدخول اللعبة فقط وتشغيل قانون العدد ، ناهيك عن الخبرة العسكرية التي حصل عليها اليشوف في الحرب العالمية الثانية وقدرته على استيعاب التقنيات العسكرية الاوروبية ، بسبب الايديولوجيا الحديثة التي يملك ·

وكان من الطبيعي في ظل ميزان للقوى كهذا (الراجح عدديا لصالح اليشوف ، ناهيك عن تفوقه على صعيدي الثقافة والوعي والتنظيم) ان يخسر عرب فلسطين معركة احباط مشروع فلسطين خلال اقل من اسبوع (وبالتحديد بين ٦ و ١١ نيسان) ، بل سيطر اليشوف على اكثر من الرقعة التي خصصت له بموجب قرار التقسيم · ولولا العامل الدولي لكان بامكان اليشوف السيطرة على كل فلسطين · كما تمضي السكين في قطعة زبدة ، كانت قوة اليشوف العسكرية تتقدم بسهولة محتلة اراضي فلسطين ، « فهزمت المقاومة الشعبية الممثلة بتشكيلات الجهاد المقدس العسكرية وباللجان القومية ، وهزمت جيش الانقاذ الذي كانت جامعة الدول العربية تنفق عليه » (١١) · وهكذا ، بعد ايام